

حوار حول :

دُوستُويفسْكِي

وعلم الجمال الرومانتي
بقلم: توماس. ج. ويزر ترجمة: عبد النبی اصطبیت

* غلوکو کامپن :

ربما كان موضوع علاقة دوستويفسكي بعلم الجمال الرومانتي أقل مخادعة مما يبدو ، فشة قدر من الجمالية موجود ضمنياً وعملياً في أعمال الرومانتيين . فالجمالية تتعكس في نتاج وردزورث في السكينة الحالم ؛ وتبدو رومانتية بليك الرؤوية أقرب إلى دوستويفسكي ؛ بينما تأخذ رومانتية بايرون صورة عبادة الآنا والمدخل العنيف للحياة والموت ؛ وكذلك فإن التمرية الشفافة جزء من الرومانسية أيضاً . وهكذا فإن الرومانسية - التي رأى لف جوي أن اعادتها إلى صيغة واحدة أمر غير ممكن - تتعكس في مجموعات مختلفة من الافكار والمواصف لدى عدة شعراء ، ودوستويفسكي يشارك في بعض منها .

* وقائع مؤتمر «السلفيات والأدب المقارن» الذي نظمته «رابطة أميركا للغة الحديثة» "The Modern Language Association of America" : M. L. A. A.

في شيكاغو عام ١٩٦١ : ونشر فيما بعد في الكتاب السنوي للأدب المقارن والعام رقم ١١ . انظر Yearbook of Comparative and General Literature No. 11

من منشورات : The Comparative Literature Committee Indian University 1962.
والذي أصدرته ثانية دار Russell and Russell في نيويورك عام ١٩٦٨ . ص ٣٦ وما بعدها .

ان شيلر يعبر عن نقاط أساسية محددة في الرومانтика وهي :
أولاً : عدم القناعة بالمحبود ، وتلك خصيصة من خصائص نظرية دوستويفسكي .
ثانياً : التأكيد على المصدر الجوهرى للمعرفة والذى هو الادراك الحسى .

وفي ضوء هذا فان كلا من ملقيل ودوستويفسكي رومانتيان . والحقيقة أن (بلي بد) Billy Buad قريب جداً من ميشكين ، مع أن رواية دوستويفسكي المتصلة بموضوعنا أوسى مدى من رواية ملقيل . ولكن كلتا الروايتين تمثلان البراءة في عالم لا يسمح بها . وعلى العموم فان الرومانтика النموذجية تتميز بالمنهج اللا عقلاني ، وأسلوب الكتابة الرومانтика مسوود بهذه النظرة .

فيكتور إرليتش :

يمكن للمرء أن يأخذ بمناهج مختلفة في معالجة الموضوع الذي بين أيدينا . فجمالية دوستويفسكي الجلية يمكن أن تقارن بالجمالية الرومانтика ؛ كما يمكن لتأثير النثر القصصي الرومانتي في دوستويفسكي أن يدرس فن>tag> متخالل بالموضوعات والتقنيات الرومانтика ؛ وكذلك يمكن للمرء أن يتخصص التأكيدات الأيديولوجية التي عبرت عنها شخصياته ، أو آراء في النفس الإنسانية ؛ اضافة إلى امكانية دراسة التأثير الرومانتي في فنه الشعري كما تجسد في بني أعماله .

ان دين دوستويفسكي لشيلر وكانتي أيديولوجياً . يمكن أن يرى بوضوح في تأكيداته على استقلالية الفن ، وطبيعته العضوية . لقد حاج دوستويفسكي ضد الرأي النصفي في الفن ، وضد الفن المتميز ، واعتبر أن الفن يكون مفيدةً فقط عندما يبقى صادقاً مع نفسه وضروراته الداخلية . وهذا على نحو مميز ان لم يكن على نحو متفرد موقف رومانتي ، يشتراك بالكثير مع الفلسفة الالمانية المثالية . وأكثر من هذا فان دوستويفسكي يلح على القوى غير العقلانية في النفس ، ففي تصويره لشخصياته نراه يركز على الاسراف والتوتر العاطفى والحالات المتطورة .

وهناك في نتاج دوستويفسكي هذا التلازم الطريف بين المصطلحات الرومانية وشبيه الرومانية . لقد كان كاتباً رومانتياً في عصر واقعي ورائدًا للرومانية الجديدة أو الرمزية ، ولهذا كان منهجه يؤكد على المسرف Outré والباطني ، أو الميتافيزيائي حقاً ، ويؤوله على أنه جوهر الحقيقة . وهو يدعو نفسه رومانتياً ولكن بمعنى سام . وقد ألح دوستويفسكي على أن عقده كانت حقيقة أكثر من العادة رغم أنها تصور حالات متطرفة ، والواقع أن عقده مبنية على حوادث فعلية أو مسبوقة بحوادث فعلية . وهكذا فإن دوستويفسكي يستخدم مصطلحات واقعية ليسوّغ نظرية رومانتية .

□ والتر . ه . سوكول :

ان الرومانية تلح على العدسي ، وعلى مجموعة الانسان في ابداع الشعر للعالم كله . لقد سلك اليونان - كما يقول هردر - في نتاجهم خطأً معيناً والذي هو العقدة ، وأعطوها دوراً مركزياً . وأعمال شكسبير نسبياً دون عقدة موحدة ، ولكنه كان يعكس فيها عالماً بأكمله . وتبعاً لتشيليل - الذي يضيف الى رأي هردر - فإن دانتي وشكسبير ورفاقنـس يبنيـي اعتبارـهم روـمانـتـينـ ، وهذا المـاح الى ما اعتقادـه جـيـناـ في شـأنـ الروـمانـتـيـةـ . وثـانـيـةـ ان دـانـتـيـ يـعـطـيـناـ عـالـماـ بـأـكـمـلـهـ ، بـيـنـماـ يـعـطـيـناـ هـوـرـمـطـاـ مـلـحـمـيـاـ . ولـكـنـ روـمانـتـيـنـ أـجـبـرواـ عـلـىـ التـضـعـيـةـ بـالـشـكـلـ وـالـعـقـدـةـ .

ثم انه اذا كانت الرومانية تلح على قدرة الفن على عكس الكلية فانـه يمكن اعتبار بـلـزـاكـ وـدوـسـتوـيفـسـكـيـ وـجوـسـتـهـنـدـئـ روـمانـتـيـنـ . فالكوميديـاـ الانـسـانـيـ يمكنـ أنـ تـقارـنـ بـالـكـومـيـدـيـاـ الـاهـلـيـةـ فـيـ الـأـوـلـىـ تـقـدـمـ لـنـاـ خـيـمةـ عـظـيمـةـ مقـاماـ فيـ بـارـيـسـ هيـ شـوـرةـ مـنـ الـأـنـماـطـ الـاجـتمـاعـيـةـ تـصلـ إـلـىـ درـجـةـ الـعـالـيـةـ . ولـكـنـ دـوـسـتوـيفـسـكـيـ يـحـقـقـ عـالـيـةـ بـالـأـخـرـىـ فـيـ الـعـقـمـ ، فـيـ تـصـوـيـرـ لـلـخـيـرـ وـالـشـرـ ، وـالـعـوـافـزـ الشـعـورـيـةـ وـالـلـاـ شـعـورـيـةـ ، فـالـعـوـافـزـ عـنـدـ مـخـبـوـةـ ، وـهـوـ يـسـتـعـمـلـ التـقـنـيـاتـ التـعـبـيرـيـةـ لـيـبـرـزـ مـاـ

هو موجود في الإنسان ، وأعمال ايفان غير العقلانية قبل مغادرته موسكو مثل على ذلك . وقد تابع جويس منهج دوستويفסקי ولكن بطريقة أكثر قصداً وعملية ، فالمنهج عنده لم يعد تعبيرياً ، بل بات صنعاً للأسطورة ، ومن خلاله يجلب جويس لاوعي الإنسان إلى السطح .

هاسكل بلوك : □

للرومانسية جمالية محددة تتعكس في مجال الشكل ، فهي مشتقة من الكلمة Roman التي قصد بها أن تعني نوعاً من الشكل المرن والمتنوع والقريب من الملخمة .

وبالنسبة إلى آراء دوستويف斯基 في علم الجمال ، نجد أنه - رغم كون وجود نظرية في التخييل أمراً نادراً - قد كانت له بعض الملاحظات : كملاحظاته عن الأبله The Idiot على سبيل المثال ، وفجواها أن وجود شخصيات عامة . أمر ضروري . ولكن يبدو أن دوستويفסקי مهمّم أساساً بفن الشعر العام وليس في قضایا نظرية الرواية ، فالآراء المتصلة بالرواية تبدو نسبياً نادرة في كتاباته .

رافل . إيه . ماتلو : □

هذا صحيح جوهرياً رغم ظهور اثنى عشر بياناً في مراسلاته وأعماله ، فيبينما كان دوستويفסקי واعياً لمشاكل الرواية ومهتماً بحماس بها ، نجد أن حلوله كروائي كانت في ممارساته أكثر منها في صيفه النقدية .

فيكتور إرليتش : □

إن وعي دوستويف斯基 للشكل واضح كما يبدو من خلال ميله إلى التصنّع والمحاكاة الساخرة . لقد كان على وعي بامكانيات مختلف الاشكال التخييلية ، كما في ربطه بين نزعة الأنانية وال الحوار الداخلي في « ملاحظات من تحت الأرض Nates from the Undergrand وكذلك كان مسحوراً بامكانيات الرواية كشكل فني .

■ حوار حول « دوستويفسكي »

□ توماس ج وينر :

نستطيع أن نوافق على أن الرومانية في نتاج دوستويفسكي ضمنية أكثر منها صريحة ، ومع ذلك فإن المشكلة تبقى في أن نحدد فقط أين تظهر الجمالية الرومانية في رواياته .

ربما تجسدت تربة الرواية في روسيا على وجهها الأفضل في أعمال تورجنيف . ولقد اختلف دوستويفسكي مع الكثير من المفاهيم التقليدية لانشاء الرواية والتي تمسك بها متقدموه . وكما استبدل بيتهوفن بالأشكال الموسيقية التقليدية أشكالاً متحركة ، فإن دوستويفسكي حطم كثيراً من قوانين التراث ، وكانت ثورته على الاشكال التقليدية ذات مساحة رومانية .

□ غلووكو كامبن :

إن الانقياد لفن الشعر المسرف أكثر من المكتوب واحدة من الخصائص الرومانية ، ويمكن للمرء أن يرى انقياداً كهذا في كل مكان من أعمال دوستويفسكي . ففي الجزية والعتاب ، والأبله ، والأخوة كارامازوف نجد أن هذا الاسراف يصل إلى درجة الالهام .

□ بول ايلى :

إن عبادة الآنا نقطة جوهرية هنا ، وهي تعكس في الواقع على الحوار الداخلي واللاعقلاني ، ويمكن أن توجد ايساحات عن هذا الميل في دون كيشوت والتي تحسب في شعبية سرفانتس بين الرومانتيين . إن النظرة الأنانية والنفسانية أساسية .

□ فيكتور إرليتش :

إن الانفعال الأناني في شخصيات دوستويفسكي عامل في شخصيات دوستويفسكي بشكل انتقادي من قبله . وهذا واضح في حالة « ملاحظات من تحت

الأرض حيث حاج دوستويفסקי أيضاً ضد الرومانتي عند دوستويف斯基 لدينا رومانتية ناقدة لنفسها ، وواعية مسبقاً بنفسها ، وكون دوستويف斯基 رومانتيا متأخراً أكثر امتناعاً من امكانية وجود الرومانية الأصلية .

ولكن « الغيالي » Phantastic في نتاج دوستويف斯基 قريب من الرومانتي والمصطلح يرد في سياقات متعددة . وعندما تطلق صفة « قصة خيالية » على « كروتكاجا » فإن ذلك يعني الاشارة إلى أن الشكل السردي في هذه الحكاية غير عادي . ويشير دوستويف斯基 في أمكنة أخرى إلى شخصياته على أنهما « موظفون مدنيون خياليون » . إن المصطلح واضح ، فهو يشير إلى مزيج خاص من الواقعية الاشتراكية والرومانية ، وهو اتجاه لاستثمار المعاناة بتركيز انفعالي ، والذي هو تبعاً للقانون الرومانتي حكر للشخصية البطولية .

□ إлизابيث تراهان :

من المفيد النظر إلى وجوه الصلة بين دوستويف斯基 والرومانطيين دون الدخول في التشعبات ، لتعجب الانطباع الجانبي . ان حس الشكل والبنية عند دوستويف斯基 هام هنا ، فهو ينبع الشكل عنده ، وباستخدامه للزمان والمكان كاستعارات ورموز ، وبتشويهه المنتقى أو المتعمد لتفاصيل هامة انما يتجاوز الرومانطيين وكثيراً ما يتجاوز العركة الواقعية أيضاً .

□ غلووكو كامبن :

ينبغي ألا تحدد الرومانية بالاسراف العاطفي ما دام الرومانطيون أنفسهم يؤكدون على الطبيعة العضوية للشكل الفني كما هو لدينا عند دوستويف斯基 ، ولكن القوة المحركة للرومانية ديونيسية دينيسية .

□ توماس . ج . وينر :

ثمة نقطة هامة تتصل بالجمالية الرومانية هي رأي دوستويف斯基 في القبيح ،

■ حوار حول « دوستويفسكي »

فهو في سموه به إنما ينطلق بشكل واضح من كانط وشيلر ، لقد كان أقرب إلى شيلر منه إلى زولا .

□ هاسكل بلوك :

لقد كان موقف روائيي القرن التاسع عشر ، واهتمامهم بالبنية والأسلوب ، هو الذي مكن – وخاصة في نهاية القرن التاسع عشر – من تحويل القبيح إلى فن ، وبوجه معين كان دوستويفسكي قريباً من الطبيعيين مع أنه لم يكن واحداً منهم .

□ أنتوني مليكتين :

لقد كانت فكرة المشاركة الوجودانية هامة : في الفلسفة الجمالية بالنسبة للرومانتيين الانكليز كوردزورث على سبيل المثال ؛ وفي النقد الرومانتي بشكل عام . ومفهوم المشاركة الوجودانية أو التعاطف Sastradanie جوهري عند دوستويفسكي ، ولكنه ربما حمل دلالات فلسفية أكثر مما في التعاطف الانكليزي .

□ فيكتور إرليتش :

ان كلمة التعاطف Sastradanie والتي هي على هذه الأهمية في نتاج دوستويفسكي لها ما يقابلها في اللغات الأخرى ، وهذه نقطة مناسبة هنا . مع أن التعاطف أو المشاركة الوجودانية لا تعني الشيء نفسه ما دامت Sastradanie تلح على المعاناة . ان مفهوم المعاناة مفهوم أصيل في عالم دوستويفسكي ، فهو مركز الوجود الإنساني ، وطريق الخلاص في الوقت نفسه .

□ أوليج ماسلينيكوف :

ان أفكار شوبنهاور والمعاناة أشياء مركزية هنا .

□ وليم إ. هاركينز :

وبهذه المناسبة لقد مضى دوستويفسكي في جدال عنيف مع غوغول ، فعلى سبيل

المثال في الـ Poor Folk أو « قوم فقراء » يقرأ ديفوشكين المعلم ويعلق على تحرير قلب المؤلف .

□ فيكتور إرليش :

ولكن هذا كان حنوا اجتماعياً ، وشيء كهذا أقرب إلى الأفراط العاطفي للمدرسة الطبيعية ، وهو نعث ملائمة لدostويفسكي المبكر ، ولكنه لا يوافق أكثر أعماله .

□ ل. ر. غوتزرم :

يقول بروست أن بعض الكتاب يخلق عملاً واحداً فقط ويشهد على ذلك دوستويفسكي ، وذلك خلط بالطبع . فتشمل اتجاه كهذا يمكن أن يربط دوستويفسكي بيلزاك بجوس وببروست نفسه فجميعهم رومانتيون في هذا السياق ، ويستطيع المرء أن يتتحدث عن « كونِ خاص بدوسٌتُويفسكي » . بطريقة لا يمكن معها الحديث عن « كونِ خاص بتولستوي » .

□ غلوكو كامبن :

الالاح على الثقة الوطنية في نتاج دوستويفسكي أمر صحيح .

□ هاسكل بلوك :

ان التفاعل بين علم الأخلاق وعلم الجمال هو بشكل جدي أمر رومانتي . والحقيقة أن علم الأخلاق والدين يمتدان خلال الحركة كلها من عام ١٧٧٠ وحتى ١٨٥٠ .

□ ريتشارد ف. كونز الأصغر :

إذا ما أثيرت قضية العلاقة بين القيم العمالية والقيم الدينية ، فإن كتابات كانط وثيقة الصلة بالموضوع فتشمل قسم بين العالم اللاهوتية والممالك الأخلاقية يتصل بالفن . فالفن رغم أنه جميل ويعبر عن ما هو إلا جسر بين العالم الظاهري والعالم

■ حوار حول « دوستويفسكي »

والهوية . ان العمل الفني أخلاقي أساساً ، مع أن ذلك لا يظهر بشكل فوري في نتاش كانط . فالعقليري ، يعطي القواعد للفن كما يعطي الفهم القواعد للطبيعة . ان العمل الفني في معرضه للفرضية رمز للأخلاق ، وهو ادراك أن الطبيعة يمكن أن يفكر بها وفق فكرة منضبطة للفرض .

□ غلووكو كامبن :

ثمة بالنسبة للفن اتجاهان لدى كانط : الاتجاه الذي يتتحدث عن استقلالية الفن ، والآخر الذي هو تعذير من أجل كبحه . ويبدو أن هذين الاتجاهين متناقضان .

□ فيكتور إرليتشن :

يقرر ديمetri كارامازو夫 في الأخوة كارامازوف أن الجمال يمكن أن ينقذ العالم مع أنه مروع ، فالجمال مصدر للخلاص ، أو للهلاك الروحي .

□ ريتشارد ف. كونز الأصغر :

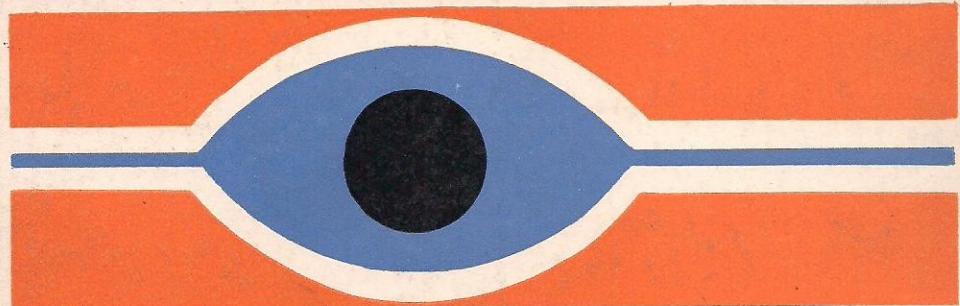
يبعدو أن ثمة صراعاً بين الجميل والسامي في كتابات دوستويفسكي ، وقد أعطي هذا الصراع تعبيراً أدبياً في فيرتر عند غوته ، حيث نجدـه غير قادر على الجمع بين الاثنين في خبرته .

□ توماس ج. وينر :

يبعدو من خلال النقاش أن المؤتمر كان مثمرة ، وأن الموضوعات المحدودة نسبياً – كما يلاحظ من خلال تجربتنا في الماضي وفي هذا اللقاء – تتيح أرضية أكثر حفزـاً على النقاش المتصل بالعلاقات المتبادلة بين الأداب القومية .

الإِدَابَةُ الْأَجْنبِيَّةُ

العدد ٣ - ٣
الستة الرابعة



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق